رواية

أعطني قلبك...

أعطيك جسدي

إبراهيم طه شوكت

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : أعطني قلبك ... أعطيك جسدي
المؤلف : إبراهيم طه شوكت
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٥٦٥٤ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 466 - 7

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى حفيدى عبد الرحمن

غبت عنى جسداً

ولكنك أمامى روحاً

قد لا تراك عينى

ولكن يراك قلبى

جدك

شوكت

الفصل الأول

اجتمعت الأسرة أمام شاشة التليفزيون، يشاهدون أحد الأفلام، كانت الأسرة مكونة من

الأب والأم وولدين وفتاة واحدة .

فجأة قامت الفتاة قائلة :

— إيه القرف ده ؟

قالت الأم :

— ليه يا فكرية ؟

— الزوج بيقول لزوجته بحبك وبيخونها، والزوجة بتقول له بحبك وهي بتخونه.. هل ده

كلام ؟

— إيه الجديد في كده ؟

— دا إسفاف ودعوة للانحلال .

— لكنه موجود في الحياة .

— مش متصورة إن واحدة عايشة مع واحد في بيت واحد، وبتاكل من عرقه وشقاه وتخونه

.. إزاي ؟

— يا بنتي الحياة فيها كل المتناقضات .

— يا ماما دا شيء فظيع ..الخيانة شيء فظيع..الإنسان الخاين سواء كان راجل أو ست مفروض يتعاقب زي الشرع ما قال وشرع .

— بس الأمور دي موجودة في الحياة فعلاً .

— ممكن تكون موجودة لكنها مش كتيرة ومش شائعة

قال الأب :

— أنا موافقك يا بنتي ومعاكي تماماً، وبصراحة التليفزيون بيعرض حاجات مقرفة، وزي ما يكون مفيش رقابة على اللي بيتعرض، ومش عارفين إن الشباب بيتأثر بالكلام الفارغ اللي بيعرضه .

— ده اللي أنا باستغرب له، إزاي التليفزيون يعرض حاجة زي كده وعارف إن الشباب سريع التأثر .

قالت الأم :

— المهم في الإنسان التربية .

قال الأب :

— وإيه يعني، إحنا نربي من هنا، والتليفزيون يفسد من هنا، زي ما يكون فيه مخطط لإفساد الشباب .

قالت فكرية :

— يبقى صراع دائم ومش هينتهي.. وليه التليفزيون ما ينقيش اللي بيعرضه ؟

قالت الأم :

— الأفلام تعبير عن الواقع .

قالت فكرية :

— بس ده تشجيع وتجميل للخطأ، مثلاً الخيانة موجودة في الحياة فهل نشجعها ؟

السرقة موجودة في الحياة هل نشجعها ؟

— يا بنتي الحياة مش مثالية زي ما انتي متصورة وفيها الصواب والخطأ، والواجب علينا ناخد الصواب ونسيب الخطأ .

— ناخد الصواب ونعمل بيه، أما الخطأ مش نسيبه إنما نحاربه مش ننشره في الأفلام والناس تتفرج عليه والشباب يتأثر بيه .

— كلامك تمام يا بنتي .

— الشر النفس البشرية بتنفر منه، وكل الأديان السماوية والقوانين الوضعية بتحرمه .

— طبعاً يا بنتي الشر مكروه ومحدش بيحبه إلا الأشرار بس الحياة فيها كل شيء من يوم ربنا ما خلق أبونا آدم .

— أنا عارفة حكاية قابيل وهابيل .

— عرفتي بقى إن الشر موجود والخير موجود .

— يا بابا مبقولش لأ، الشر موجود لكن ما نشجعهوش وننشره .

— وهو فيه حد بيشجع الشر وينشره ؟

— الأفلام دي .

— دي مجرد أفلام .

— يعني إيه مجرد أفلام ؟ هي عشان أفلام تقوم تنشر الكلام الفارغ ده ؟

— أمال يعملوا إيه ؟

— يعني هي الحياة مفيهاش غير الحاجات التافهة ؟ الحياة مليانة صور جميلة، والتاريخ مليان بطولات وعبر.

— عندك حق يا بنتي .

— أنا ماشية لأني مش طايقة الكلام الفارغ ده .

انصرفت فكرية تاركة الأسرة تكمل مشاهدة الفيلم وتوجهت إلى حجرتها، وخلعت ملابسها، ورقدت في سريرها .

جاءتها أمها، فقامت من رقدتها، وجلستا معاً على السرير، وقالت أمها :

— أنا عايزة أعرف هو أنتي مش ناوية تتجوزي ؟

— ليه يا ماما ؟ هو أنا مش بنت زي أي بنت ؟

— أمال إيه الحكاية ؟ كل ما ييجي لك واحد ترفضيه .

— أنا مش رافضة الجواز أنا رافضة اللي مش مناسب للجواز .

— يعني كل اللي اتقدموا لك مش مناسبين .

— طبعا، وإلا كنت قبلت واحد منهم .

– يا بنتي مفيش إنسان على الفرازة .

– لكن نصبر وننقي اللي هو مناسب واللي يصبر ينول .

– يا خوفي يا بنتي بعد ده كله تقعي في واحد ما يستاهلكيش، ويقع نقبك على شونة بعد ده كله .

– ربنا يستر .

تركتها أمها، أما هي فسرحت بفكرها ... إنها ليست رائعة الجمال، ولكنها جميلة وجذابة، كل مشكلتها أنها تعتز بنفسها كثيراً، ولا تبتذل في أي تصرف من تصرفاتها أو قول من أقوالها . أما بالنسبة للزواج فقد قالت لنفسها وكأنها تخاطب شخصاً آخر:

– إن الزواج في الأساس جنس وامتلاك للجسد، وإن جسدي هبة من الله يجب أن أصونها، وأحافظ عليها، ولا أفرط فيها، ولا أعطي جسدي إلا لمن يستحقه .. إن الذي يعطيني قلبه أعطيه جسدي، لأن الذي يعطيني قلبه يعطيني كل ذاته، وعندئذ يستحق أن أعطيه جسدي الذي هو أعز ما أمتلك .

***

نهضت في الصباح، وتناولت إفطارها ثم توجهت إلى مقر عملها وعندما كانت جالسة أمام مكتبها وجدت جارتها وزميلتها (ريري) غائبة عن العمل .

بعد فترة رن جرس الهاتف الموجود على مكتب رئيس القسم .. رفع رئيس القسم سماعة الهاتف ثم نادى على فكرية .

— تليفون عشانك يا آنسة فكرية .

توجهت فكرية إلى رئيس القسم وتناولت منه السماعة وقالت :

— ألو

سمعت صوتا يقول:

— الآنسة فكرية ؟

— أيوه مين معايا ؟

— أنا وجدي أخو زميلتك ريري .

— أهلا وسهلاً .

— لو سمحتي أختي مريضة وبعد إذنك تبلغي لها مرضي ولو سمحتي تجيبي لها الجواب من شئون العاملين وتعدي عليها في البيت وأنتي مروحة .

— طيب ما تيجي أنت تاخد الجواب .

— أنا في الشغل ومقدرش آجي .

— على عيني حاضر .

— شكراً آنسة فكرية .

توجهت فكرية إلى شئون العاملين، وقامت بعمل اللازم، ووقعت باستلام خطاب التحويل لتوصيله إلى زميلتها ريري .

قررت فكرية ألا تذهب إلى ريري بعد العمل مباشرة حيث انه وقت الغذاء وان تذهب إليها آخر النهار وفعلاً توجهت إلى عنوانها وضغطت على زر الجرس فتح باب الشقة عن شاب في نحو السابعة والعشرين من عمره قائلاً :

— أهلاً وسهلا .

— أنا فكرية زميلة ريري في الشغل وحضرتك الأستاذ وجدي .

— أنا وجدي أخو ريري .

— عرفتك من صوتك .

— أهلا وسهلاً اتفضلي هي مستنياكي .

دخلـت الشـقة وجـاءت أم ريـري فسـلمت عليهـا وقـال وجـدي:

— دي يـا ماما الآنسـة فكريـة زميلـة ريـري في الشـغل .

قالـت الأم :

— أهلاً يا بنتي آسفين على تعبك .

— مفيش تعب ولا حاجة، أمال هي فين ؟

— موجودة يا حبيبتي اتفضلي معايا .

توجهـت معهـا إلى حجـرة ريـري الـتي اسـتقبلتها معانقـة وهـي في السـرير أعطتهـا خطـاب التحويـل ثـم جعلتـا تتحدثـان بعـد فـترة قصـيرة دخلـت أم ريـري قائلـة :

— مصطفى قاعد بره .

قالت ريري:

— حاضر يا ماما .

سألت فكرية

— مين مصطفى ؟

— ده خطيبي .

— أستأذن عشان تقعدي مع خطيبك .

- مش معقول تمشي على طول، تعالي معايا نقعد كلنا بره مع بعض، أنتي مش غريبة .

- يا أختي يا حبيبتي ميصحش .

- هو إيه اللي ميصحش، كلنا إخوات، كمان عايزة أقعد معاكي شوية وكمان تشوفي خطيبي .

- ربنا يسعدكم ببعض، بس خليني أمشي

- مستحيل .

قامت متثاقلة، وسارت معها فكرية نحو الصالون، وجلسوا معاً فترة قصيرة، استأذنت بعدها فكرية في الانصراف .

أثناء جلوسهم معاً، حاول وجدي أن يلفت نظر فكرية إليه، فقد أعجبه شكلها ورزانتها، بينما هي لم تعره اهتماماً غير عادي، فلم يلفت نظرها بأكثر من كونه شقيق زميلتها .

الفصل الثاني

بعد انصراف فكرية، وعندما خلا وجدي بأخته ريري قال لها :

— هي فكرية متجوزة ؟

— لأ

— ولا مخطوبة ؟

— ولا مخطوبة .. إيه ؟ بتفكر في إيه ؟

— ومتجوزتش لحد دلوقتي ليه مع إنها جميلة ؟

— جالها كتير وهي بترفض .

— ليه ؟

— هي لها طبع خاص، وبتقول إنها لحد الآن ما جالهاش الشاب اللي يوافق طبعها .

— يعني إيه لها طبع خاص ؟

— هـي جـد ودوغـري وصريحـة ، ومابتحبـش اللـف . والـدوران ولا الكـدب ، كمـان هـي معتـزة بنفسـها قـوي .

— يا سلام ؟

— وحيـاة سـلام .. يعـني مـش متقلبـة وهوائيـة زي بعضهـم .

— دي تبقى لقطة .

— هي فعلاً لقطة ، ويا بخت اللي هيتجوزها .

— طيب إيه رأيك أنا عايزك تخطبيهالي .

— أنت يا وجدي ؟

— أيوة .

— مش معقول .

— ليه ؟

— عشان طبعك غير طبعها .

— وعشان كده أنا عايزها .

— أنت خفيف وهوائي .

— بعد الجواز كل شيء بيتغير .

— أنا مش ضمناك .

استنجد وجدي بأمه لتحث ريري على مفاتحة فكرية في الارتباط به لكن أمه قالت :

— أنت بصراحة متتضمنش أنت خطبت كام واحدة وسبتهم، ومش عايزة أختك تكلم فكرية وبعدين تعمل زي اللي سبتهم .

قال وجدي:

— لأ يا ماما دي حاجة تانية .

توجهت الأم إلى ريري قائلة:

— معلش يا ريري كلميها عشان خاطري .

— حاضر يا ماما .

— يمكن المرة دي ربنا يسهل له .

قالت ريري:

— ومطلوب مني إيه ؟

— تكلميها .

— يا ريت هي ترضى .

— مش بتقولي إنها دوغري وجد ؟ يبقى هتاخد كلامك جد وبعدين دي زميلتك وعارفاكي كويس وهتعمل لك خاطر .

— معلش أنت أخويا وأنا عارفاك هوائي ومتقلب .

— بس دي البنت اللي هي، حاولي تقنعيها .

— على فكرة أنا هلاقي صعوبة في إقناعها .

— ليه ؟

— عشان هي مش سهلة زي ما أنت متصور .

— ورينا شطارتك .

— ربنا يسهل .

***

أثناء جلوس فكرية معهم، ظل وجدي يتأملها، فقد فرضت شخصيتها الرزينة عليهم، ورغم أنه حاول التملق إليها، إلا أنها لم تعره اهتماماً مما جعله يتشبث بها ... كان معجباً بهدوئها ورزانتها .

***

عندما كانت ريري في عملها قالت لفكرية :

— إيه رأيك في وجدي ؟

— وجدي مين ؟

— أخويا اللي شفتيه .

— ماله ؟

— إيه رأيك فيه ؟

— من ناحية إيه ؟

— كله على بعضه .

— يعني إيه كله على بعضه ؟ انتي هتبيعيه شروة ؟

— يعني رأيك فيه عموماً .

— يعني عادي ومش وحش .

— يعني يعجب ؟

— تقصدي إيه يا ريري ؟ اتكلمي بصراحة من غير لف ولا دوران .

— عايز يخطبك .

— ما ينفعش .

— ليه ؟

— مش حاسة ناحيته بميل ولا جه على بالي ولا لفت نظري .

— انتي لسه بتقولي عادي ومش وحش .

— يعني عادي زي أي راجل .

— يعني مافيهوش عيب .

— دا حاجة والجواز حاجة .

— على العموم فكري وما تستعجليش في الرد .

— أنا من عادتي بفكر وما استعجلش .

***

عندما رجعت فكرية إلى منزلها فكرت في عرض ريري للزواج من أخيها ... إن أخاها لم يجذب انتباهها فليس فيه شيء غير عادي كما بدا من الفترة القليلة التي جلست معهم ... إنه ضعيف الشخصية ويكاد يكون مهزوزاً ... مجرد إحساس لا تعرف إن كان صادقاً أم كاذباً ولهذا كانت مترددة في القبول أو الرفض .

***

ظلت ريري تلح على فكرة وتعدد لها محاسن وجدي، وبعد أن ضاقت من كثرة إلحاحها قالت لها :

— بس أنا معنديش فكرة عنه ولا أعرفه .

— يا ستي اقعدوا مع بعض واعرفوا نفسكوا كويس .

— يعني نعمل زي العيال الحبيبة ونقعد في الجنايـن ونتكلم ؟

— ماهو عشان تعرفوا بعض لازم تقعدوا مع بعض .

— يا ستي ماشي نقعد فين ؟

— مطرح ما يعجبك .. تعالي عندنا .

— معقول ده تفكيرك ؟

— ليه ؟

— آجي عندكم إزاي ؟ أنا مش رخيصة للدرجة دي .

— ما أقصدش والله .

— اتكلمي كلام معقول .

— خلاص هو ييجي عندكم .

— بصفته إيه ؟

— خطيبك .

— خطيبي إزاي وإحنا لسه ما اتفقناش ؟ وجايز أنا ما أوافقش .

— أمال تروحوا فين ؟

— في أي مكان يكون عام وهادي .

— اختاري المكان اللي يعجبك .

— حاضر يا ستي، يوم الخميس الساعة تلاتة، نتقابل قدام جنينة الأورمان من ناحية جنينة الحيوانات .

— ها أقوله وأخليه يستناكي .

أبلغت ريري أخاها بالزمان والمكان، ونبهت عليها أن يكون رزيناً في أقواله وأفعاله عندما يلتقيان، وأن يكون قليل الكلام وأن يكون مهذباً .

تقابلا في الزمان والمكان اللذين اتفقا عليهما، وانتقيا أحد الأماكن الهادئة، بدأت هي الحديث قائلة :

— أنا ما أعرفش حاجة عنك عرفني بنفسك .

— أنا خريج كلية التجارة، وشغال في مصلحة المساحة، وزي ما أنتي عارفة عايش مع أمي وأختي، لأن بابا مطلق أمي من زمان، وعايش مع مراته التانية وأولاده منها .

— طيب وهو أنت جاهز للجواز ؟

— أنا مؤجر شقة وكنت بدور على عروسة .

— يعني في إمكانك تتحمل مسئولية بيت وأولاد .

— طبعاً أيوه .

— سؤال أخير، أنت ما شفتنيش غير مرة واحدة، وما تعرفشي حاجة عني وإزاي عايز تخطبني ؟

— أختي ريري كلمتني عنك كتير .

— يعني أختك اللي كلمتك .

— لأ، أنا اللي كنت دايماً أسأل عنك .

— يعني عرفتني من السؤال من أختك .

— أختي زميلتك وعارفاكي كويس .

— زي ما أنت عرفتني كويس أنا كمان عايزة أعرفك كويس .

— أنا قلت لك كل حاجة .

— إديني فرصة أفكر .

— إنتي لسه هتفكري ؟

– واضح إنك دايماً مستعجل، وأنا لسه عارفاك من كام يوم .

– عايز أعرف رأيك بسرعة .

– حا أفكر وأكلم أختك .

***

عندما عادت إلى المنزل وخلت بنفسها جعلت تفكر .. كانت أحاسيسها متضاربة، هل تقبله ؟ أم لا ؟ هو من حيث الشكل لا يعاب كل مؤهلاته للزواج معقولة، أما شخصيته ففيها شيء من الاهتزاز، ولهذا كانت حائرة بين القبول والرفض .

عندما عاد وجدي إلى منزله سألته أخته ريري:

– عملتم إيه ؟

– عملنا إيه يا شيخة ؟ دي قعدت تسألني ولا وكيل نيابة بيسأل متهم في جريمة .

– مش قلت لك إنها مش سهلة .

– واضح جداً .

– المهم رسيتم على إيه ؟

- قالت حافكر وأبلغ أختك .
- أديني معاها في الشغل كل يوم .
- أنا عاوز أعرف هي هتشاور أبوها وأمها والا الحل في إيديها هي ؟
- أبوها وأمها عارفين طبعها وواثقين فيها تماما، وسايبين لها حرية الاختيار لو وافقت هيوافقوا .

***

ازداد وجدي تعلقاً بفكرية، فعندما وجدها صعبة المنال قرر الاستماتة في طلب يدها عملاً بمبدأ الممنوع مرغوب .. كان يريد أن يظفر بها ويحطم كبرياءها، أو على الأقل يشعر أنها لا تعلوه مرتبةً، أو أنه امتلك شيئاً بعيد المنال، كان كل من تقدم إليهن متلهفات على الزواج ولهذا زهد فيهن ... أما فكرية، فقد كانت نوعاً آخر .. كانت متمنعة عليه، وغير متلهفة على الزواج، وتحاول أن تدقق لتختار الأصلح، الأمر الذي جعله يتشبث بها حتى يشعر أنه فعلاً جدير بها لأنها اختارته وهو الأصلح .

***

بعد بضعة أيام سألتها ريري عن قرارها فأجابتها أنها ما زالت تفكر ولما ألحت عليها أخبرتها أنها مترددة في القبول وأن الأمر يحتاج إلى وقت آخر للتفكير، إلا أن ريري قالت لها أنها منحت من الوقت ما فيه الكفاية، وأنها يجب أن تتكل على الله وتوافق كان وجدي كلما علم من أخته عن ترددها في القبول يزداد إلحاحاً على أخته في الضغط عليها، وبالتالي تزيد ريري من ضغطها عليها .

أخيراً وتحت إلحاح ريري وافقت فكرية، الأمر الذي جعل وجدي يسارع في التقدم لها وتقديم الشبكة .

شعر وجدي أنه أصبح في سبيله إلى تحقيق هدفه، فها هي أخيراً وافقت على الخطوبة مما يعني أنها اعترفت به شريكاً لحياتها في المستقبل .

جلس أبوها وأمها دون أن تكون معهما ... قال الأب:

— أنا مش عارف الجوازة دي مش مستريح لها ليه ؟

قالت الأم :

— صدقني أنا كمان مش مستريحة زيك لكن هنعمل إيه ما دام هي موافقة وده قرارها وهي حرة .

— بس دا جالها عرسان كتير أحسن من وجدي ميت مرة .

— ما هو ده اللي أنا باستغرب له .

— على العموم على كيفها وهي حرة .

تمت الخطوبة، وكان وجدي سعيداً بينما تقبلت هي هذه الخطوبة على أنها شيء عادي لابد أن يحدث لكل فتاة، وهذا هو نصيبها، رغم أنه لم يكن اعتقادها تاماً بأنها اختارت الصواب .

أثناء فترة الخطوبة القصيرة خرجا معاً عدة مرات للتنزه، وكان يحاول أن يكون رزيناً أمامها، أو أن يجاريها في الهدوء ة والرزانة، وكانت تلحظ ذلك وتبتسم وتقول في نفسها :

— ما دام بيحاول يبقى هييجي منه في المستقبل .

وأقنعت نفسها أنها من الممكن أن تشكل منه إنساناً ذا شخصية قوية، طالما هو يحاول ذلك أمامها الآن . حقاً، إنهما لم يهيما ببعضهما حباً حتى يمكن أن يقال أن كلاً منهما أغرم بالآخر، وأنهما قبلا كل منهما الآخر كما تتم الخطوبة بين اثنين لم يعرفا نفسيهما قبل الزواج، وقد تصنع العشرة بينهما المحبة في المستقبل .

أسرع وجدي في إتمام عملية الزواج خوفاً من أن تتراجع فكرية عن قرارها ..

هـذا مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى كان مـن عادتـه سـرعة الانفعـال .

تم بعـد ذلـك الزفـاف وانتقلـت إلى بيـت زوجهـا ومضـت أمـور حياتهـا بصـورة طبيعيـة كمـا تمـر بـين أي زوجـين . كان وجـدي في غايـة السـعادة، فهـا هـو الآن قـد نـال مأربـه ووصـل إلى غايتـه .

كان ينظـر إليهـا علـى أنهـا صعبـة المنـال، وهـو بامتلاكـه لهـا يكـون قـد حقـق ذاتـه، شـخصيته المهـزوزة تجعله يشـعر أنـه أدنـى مرتبـة منهـا، ويجـب أن يتسـاوى معهـا أو يرتفـع إلى مسـتواها .. أي أنـه يريـد أن يحقـق ذاتـه مـن خلالهـا.

***

مضـت سـتة أشـهر مـن الـزواج تزوجـت بعدهـا ريـري، وتركـت العمـل بنـاءً علـى رغبـة زوجهـا، ولم تعـد تراهـا إلا نـادراً، بعـد أن كانـت تراهـا يوميـاً في مقـر العمـل .

لم يكـن هنـاك جديـد في حياتهمـا ... تمضـي الحيـاة بينهمـا رتيبـة بأمورهـا العاديـة كمـا هـي بـين أي زوجـين .

لم يكـن يضايقهـا سـوى ضعـف شـخصيته، وأحسـت أنهـا وقعـت في فـخ نصبتـه لهـا أختـه ريـري، ولكنهـا تعاملـت معـه علـى أنـه أمـر واقـع في حياتهـا وأن هـذا قـدر

الله، ويجب أن ترضاه، بعد أن صار زوجها، وله حقوق الزوج .

كان أحياناً يبدو مضحكاً وهو يحاول أن يكون ذا شخصية قوية، وكانت تحمد له هذه المحاولة، وتشجعه عليها عله يفلح في تغيير شخصيته .

كان أثناء فترة الخطوبة القصيرة جداً يحاول إخفاء ضعف شخصيته إلا أنها ظهرت واضحة جلية بعد الزواج .

***

مرت سنتان على هذا الزواج، رزقا خلالهما بطفلة جميلة أسمياها (رجاء).

كانت فكرية تنظر إلى وجدي على أنه قدرها الذي لم تقتنع به، ولكنها رضيت بهذا القدر ... كانت تشعر أن هناك فجوة بين تفكيرها وتفكيره، ولم تحاول من جهتها إثارة هذه الفجوة، حرصاً على استمرار حياة زوجية طبيعية، خاصة بعد أن رزقت بمولودتها (رجاء)، والتي وجدت فيها كل سلوتها .

الفصل الثالث

فجأة بدأ وجدي يتغير، فقد أصبح كثير الغياب عن منزله ولا يبدي اهتماماً بشئون أسرته .

ذهبت فكرية إلى منزل ريري، وأخبرتها بتغير أحوال أخيها . قالت لها ريري :

— جايز يكون مشغول في عمله، وأنتي ما سألتيهوش ليه ؟

— أمرك عجيب، ده جوزك وأبو بنتك، ومن حقك تعرفي .

— أنا مراته ومفروض يقول لي على اللي شاغله ومغيره .

— طيب اسأليه .

— وليه مش عايز يقول ؟

— لو سألتي هتعرفي هو متغير ليه .

— لو كان عايز يقول كان قال، إنما كده مش عايز يقول ولا عايز حد يعرف .

— مش هيجرى حاجة لو تسأليه .

— كرامتي فوق كل شيء، أنا معملتش حاجة تزعله، علشان كده لا يمكن أسأله.

— لكن المفروض تحسسيه إنك بتسألي عليه .

— أنا لو كنت غلطانة في حاجة كنت أعتذر له، ومش عيب إني أعتذر لو كنت غلطانة .

— أمال لو تشوفي مصطفى جوزي بيعمل في إيه كنتي تقولي إيه ؟

— بيعمل فيكي إيه ؟

— شخط ونطر وشتيمة، وأحياناً ضرب .

— ليه تخليه يشتمك ويضربك .

— حا أعمل إيه ؟

— تمنعيه عن كده .

— هو طبعه كده .

— لازم أنتي بتغلطي غلط كبير .

— لا كبير ولا حاجة بس هي تلاكيك .

— وليه تستحملي ده كله ؟

— لازم أستحمل عشان البيت ما يتهدش .

— على حساب كرامتك .

— أنا بعتبر كرامتي هي كرامته .

— لا هو له كرامة وإنتي ليكي كرامة .

— عشان نعيش لازم كرامتنا تكون واحدة .

— يعني تلغي كرامتك وتبقى كرامته هو بس ؟

— أنا راضية بكده .

— أنتي بتحبيه ؟

— طبعاً مش جوزي .

— لو مكنش جوزك كنتي تحبيه ؟

— أنا عايشة في الواقع، والواقع بيقول إنه جوزي، ولازم أستحمله .

— بس مش للدرجة دي .. شتيمة وضرب .

— أنا واخدة على كده ومستحملة .

— والله دي حياتك وأنتي حرة فيها .

— انتي كده بتعامليه كأنه واحد صاحبك مش جوزك .

– وهل معنى إنه جوزي أتنازل عن كرامتي ؟

– مفيش كرامة بين الراجل ومراته .

– قلت لك لأ .. فيه .. هو له كرامة وهي لها كرامة، ولو فقدوا كرامتهم يبقى مينفعش يكونوا زوجين .

– المفروض كل واحد فيكم يطاطي شوية عشان المركب تمشي .

– قلت لك أنا ما غلطتش في حاجة تزعله والعواطف ما بتنشحتش وأنا لو كنت غلطانة في حقه كنت سألت عليه .

– أنا حا أكلمه وأعرف منه إيه الحكاية .

– اعملي اللي يعجبك .

***

فكرت فكرية كثيراً في الأمر الذي جعل زوجها يتغير، قالت لنفسها إنها لم تقصر في أي واجب من واجباته الزوجية، وظلت تدقق في تصرفاتها علها تجد شيئاً أغضبه فلم تجد، كما أنه لم يبد أية شكوى من أي تصرف منها، معنى هذا أن مؤثراً خارجياً طرأ

عليه وجعله يتغير، وبالقطع هذا المؤثر لابد أن يكون امرأة .. وفي هذه الحالة يجب ألا تهتم بغيابه طالما هو اختار غيرها وفضلها عليها .

قابلت ريري أخاها وجدي ولما سألته عن سبب تغيره مع زوجته قال لها :

— بصراحة مبقتش طايقها .

— ليه ؟

— مش عارف .

— إزاي مش عارف ؟ مش هي دي فكرية اللي كنت هاتتجنن عليها ؟

— كنت .

— والوقت ؟

— اتغيرت من ناحيتها .

— ليه ؟ إيه اللي حصل منها ؟

— محصلش حاجة .

— هل هي مقصرة في حقك ؟

— الحقيقة لأ .

— طيب الست مش مقصرة في حاجة واخد منها موقف ليه ؟

— قلت لك زهقت خلاص .

— يعني الناس في إيدك لعبة يا وجدي؟ تحب وقت ما تعوز وتنسى وقت ما تعوز؟

— اللي حصل يا ريري .

— وبنتك خلاص مالهاش اعتبار عندك ؟

— ها يجرى لها إيه ؟ هي مع أمها .

— ياه، للدرجة دي ؟ حتى بنتك .

— أنا مطمئن عليها عشان مع أمها .

— اعمل اللي يعجبك يا وجدي بس لازم تعرف إنك أنت اللي خسران .. أنت معاك جوهرة، ست مفيش زيها .

لم تصل معه إلى رأي قاطع، أو سبب واضح وتركته على أمل أن تعود إليه مرة أخرى .

***

فجأة أيضاً .. انقطع وجدي عن الحضور إلى منزله، بعد أن كان غيابه متقطعاً، ولما حضرت ريري لزيارة فكرية أخبرتها بانقطاع أخيها عن المنزل، فطلبت منها ريري أن تبحث عنه، وتسأل عليه، فرفضت قائلة :

— أنا مش هاشحته .

— أنت مراته .

— هو حر عايز ييجي محدش حايشه مش عايز اللي يعجبه .

— بقول لك إنتي مراته .

— أنا ماغلطش وماقصرتش، وعارفة تمام واجباتي كزوجة، ومفيش ما يدعو لأنه يهجر البيت..على العموم ينام على الجنب اللي يريحه

قالت ريري:

— دي مش معاملة .

— عايزاني أعمل إيه ؟ ألف في الشوارع وأنادي على راجل سايب مراته وبنته

— مش عارفة أقول لك إيه .

– لا تقولي ولا تعيدي، اللي حصل حصل، وده أخوكي اللي كنتي بتلحي علي عشانه وآدي النتيجة .

– يعني أنا كنت عارفة إنه هيتغير كده ؟

– بدل ما تسأليني أنا، روحي اسأليه هو وشوفي هو ساب البيت ليه .

– أنا هاكلمه وأعرف كل حاجة .

– لما تعرفي قولي لي، ولو كنت غلطانة في حقه عرفيني، ولو إني متأكدة إن السبب مش مني أنا .

– أمال من مين ؟

– الله أعلم بقى .

– مصيري هاعرف .

– هتعرفي إيه، ده أخوكي وأنتي عارفاه، كنتي شوفي له واحدة زيه متقلبة وهوائية .

– معلش مصيره يرجع للبيت .

– ولا ميرجعش، مبقتش فارقة .

– إزاي ؟

– اللي يسيب بيته مرة، يسيبه مرة تانية وتالتة ..

فجأة أيضاً وصلتها قسيمة طلاقها من وجدي .. لم تهتم .. كما لو كانت تتوقع ذلك ... أطرقت قليلاً ثم هزت رأسها قائلة لنفسها :

— على كيفك يا وجدي، أنت اللي اخترت، وأنت عارف إني مش ضعيفة، وأنت اللي خسرت، وبكرة الأيام تثبت لك .

***

طلب منها أبوها وأمها أن تقيم دعوى طلب نفقة لها ولابنتها، إلا أنها رفضت بإصرار رغم إلحاحهما عليها فقد قالت لهما :

— لا يمكن أقبل منه ولا حتى جنيه، يغور بفلوسه .

قالت الأم:

— يا بنتي ده حق بنتك وحقك .

— مش عايزاه .

قال الأب :

— جايز حقك تتنازلي عنه لكن حق بنتك إزاي تتنازلي عنه ؟

— بالنيابة عن بنتي مش عايزاه، وهاربيها أحسن تربية، ومش حا أخليها تحتاج حاجة أبداً ، والحمد

لله أنا موظفة ولي دخل ومش محتاجة حاجة من حد .

— هو كده المستفيد وأنتي الخسرانة .

— بالعكس انا استفدت بنتي، وخلصت من إنسان تافه .

— مش ده اختيارك ؟

— أيوه لكن اتغشيت من كلام أخته عنه .

— وصدقتيها ليه ؟

— يعني أنا كنت عارفة إنها بتخدعني .

***

عندما علمت ريري بطلاق فكرية من أخيها ذهبت مسرعة إلى فكرية وقالت لها :

— دي غلطة وإن شاء الله هيصلحها .

— مش حاتتصلح يا ريري اللي باع يتباع .

— مصيره يرجع لبيته .

— مبقاش بيته خلاص، بقى بيتي أنا وبنتي، أما هو الله يسهل له بعيد عننا .

— ليه يا فكرية ؟ هو انتي ملكيش عزيز ؟

— إيه يا ريري ؟ انتي بتقولي العكس، هو اللي باع ومالوش عزيز، دا حتى باع بنته ضناه، يبقى مين فينا اللي مالوش عزيز وبايع الكل والكليلة .

— ما أنكرش إنه غلطان .

— يا ستي غلطان مش غلطان هو انتهى خلاص والله يجازي اللي كان السبب .

— تقصديني ؟

— طبعاً، تنكري إنك السبب في جوازنا ؟

— أنا آسفة يا فكرية .

— آسفة ؟ في النهاية آسفة ؟ أتجوز واحد لمدة سنتين وبعدين يطلقني ... أتجوز واحد ملوش شخصية ؟ ذنبي إيه ؟ أنا قلت اللي حصل حصل وبكرة يبقى له شخصية أتاري مفيش فايدة هو كده وخلقته كده .

— معلش يا فكرية يعني أنا كنت عارفة إن ده هيحصل .

— أخوكي وأنتي عارفاه ليه تبليني بيه ؟

— مقدرش أقول أكتر من إني آسفة .

— مفيش داعي للأسف لأنه خلاص انتهى .

— والبنت ؟

— مايستاهلهاش.. مايستاهلش إنها تكون بنته، أو هو أبوها وأنا حا أربيها أحسن تربية إن شاء الله .

— ربنا يخليكي لها .

— بس برده خليكي فاكرة إني ماكنتش موافقة عليه لولاكي .

— حقك علي يا فكرية .

وانصرفت .

***

جعلت فكرية تفكر فيما حدث، لقد تزوجت وجدي مع خداع أخته لها، وكانت واثقة في حديثها، واستطاع هو أن يمثل عليها دور الشاب المسالم، وقد كان فعلاً مسالماً لا يثير المشاكل .

لقد أعطته جسدها الذي هو أعز ما تملكه إلا انه لم يعطها قلبه .. أحست أنها أعطته شيئاً غالياً ثميناً لم يقدره حق قدره . كان يحز في نفسها أنها أعطت جسدها لمن لا يستحق .

كان ما حدث لوجدي أنه التقى برشا، وهي فتاة جميلة وغاية في الشياكة، بهرته بملبسها الضيق ومكياجها الصارخ وأنوثتها التي تبالغ في إبدائها، كانت رشا في مأمورية للتدريب في مقر مصلحة المساحة في الجيزة لمدة شهر حيث يعمل وجدي ... التقى بها فشدت انتباهه وبدأ يهيم بها ولاحظت هي ذلك فأظهرت له القبول لا التمنع وهكذا بدآ يخرجان معاً بعد مواعيد العمل للتنزه .

رأت فيه أنه مناسب لها فكل الذين عرفتهم قبله كانوا يريدون المتعة فقط ولا يريدون الزواج أما وجدي فكان على استعداد أن يبيع الدنيا بما فيها في سبيل الفوز بها .

افتتن بها وصادفت هواه شخصيته المهزوزة جعلته ينبهر بها، فقد بهره الشكل الجميل ووقع تحت تأثيره، كما وقع قبلاً تحت تأثير شخصية فكرية .

كانت رشا هي الشكل الجميل والمضمون الضعيف، بينما كانت فكرية هي الشخصية القوية ذات المضمون الجيد وكان هو بين الشخصيتين الضعيف .

وجعلته ينسى نفسه وبيته ولما أخبرها برغبته في الزواج منها رفضت مع أنها تتمناه، فهو النموذج المناسب جدا ً لرغباتها ... واشترطت عليه كي توافق أن يطلق زوجته لأنها لا تقبل أن يشاركها فيه أحد ـ على حد قولها

ـ كما أن الشرط الثاني هو أن يطلب نقله من عمله بالقاهرة إلى الأسكندرية حيث مقر عملها ومقر أسرتها .

كان مطلبها في طلاقه من زوجته، ونقل عمله إلى الأسكندرية، اختباراً له ولطاعته لها فإذا وافقها قبلت الزواج منه، ليس لأنها لا تسمح أن يشاركها فيه أحد كما زعمت له، كما أنه اختبار لقدرته على الانصياع لأوامرها، أما إذا لم يوافق فسوف ترفض الزواج منه، لأنها لا تريد أن تتزوج من رجل يأمرها بل هي التي تأمره، وقد نجح في الاختبار مبدياً الطاعة الكاملة، وكان هذا ما تريده .

فعندما قال لها :

— انقلي نفسك هنا في القاهرة .

— قالت له :

— لا انقل أنت نفسك عندنا ... اسمع الكلام من الآن .

— حاضر عشان خاطرك أعمل أي حاجة .

استجاب لها وهو مسلوب الإرادة، وطلق زوجته، وطلب نقله إلى فرع المصلحة بالإسكندرية .. وكان لها ما أرادت .. جعلته ينسى نفسه، بل وينسى ابنته الطفلة البريئة، وأصبح يدور في فلكها .. كان كل همه أن ينال رضاها ولو على حساب كرامته وعلى حساب ما عداها،

المهم لها أن تستأثر به وحدها وتفعل به ما تشاء .

تزوجته رشا، ليس هو الذي تزوجها، وإنما هي التي تزوجته هذا ما يمكن أن يقال

عنه .. كان كل من يتقدم لها ترفضه، لقد كانت تشعر أنه يريد امتلاكها رغم أنهم كانوا يحاولون إرضاءها، لكنها بخبرتها الأنثوية عرفت أن هذا الرضا مؤقت لحين امتلاكهم لها، فلم تنطل حيلهم عليها، فهي لا تريد رجلاً يملكها وإنما تريد رجلاً هي التي تملكه وتسيطر عليه ويخضع لأوامرها .. ووجدت في وجدي الرجل المناسب لها، كانت الأنانية طبيعتها وحب التملك، وأن تفعل هي ما تريده لا ما يريده غيرها .

كان وجدي في حالة توهان كامل، وكأنما سحر له وكأنه لا يعي ما يقول وما يفعل سوى أن يستجيب لها وينفذ أوامرها .. كان كالآلة التي يديرها صاحبها .

وجدت فيه عجينة لينة، ورجلاً رخواً تستطيع أن توجهه أينما تريد، وأن مثل هذا النموذج من الرجال هو الذي تريده زوجاً، حتى تستطيع أن تفرض سيطرتها عليه وتتباهى أمام الغير بقوتها وضعفه أمامها، فهي لا تريد زوجاً تبدو أمام الغير ضعيفة أمامه .

عرفت كيف تجعله دائما مشدوداً إليها، مشتاقاً لها، بما تبديه من أفعال أنثوية ماكرة وملابس تبرز مفاتنها، وحركات لها مدلولها الجنسي بحيث يظل دائماً هائماً بها، ساعدها على ذلك ضعف شخصيته ونظرته الجنسية الدائمة لها . استطاعت أن تلمس نقطة الضعف منه وأن تسيطر عليها تماماً .

كان هو الشخص المناسب لطبيعتها، ويكفي أنها عندما طلبت منه أن يطلب نقله من القاهرة إلى الإسكندرية أجابها أيضاً .. وهكذا انقطعت صلته بزوجته وابنته واستطاعت رشا أن تسيطر عليه تماماً، وتجعله عجينة بين يديها تشكلها كيفما تريد .

استطاعت أن تشكل حياته معها كما تريد هي، وليس كما يريد هو فأصبح لها الخادم المطيع الذي يسارع في تلبية رغباتها، فكان لها خادماً مطيعاً أكثر منه زوجاً .

***

كان هو الذي يقف في المطبخ، ويساعدها في طبخ الطعام، ويغسل المواعين، وهو الذي يقوم بتنظيف الشقة، وهو الذي يجلب المشتريات من السوق .. كان يقوم بعمل كل شيء تطلبه منه رشا، وكان يجد في رضاها سعادته ... كان خادماً مطيعاً أكثر منه زوجاً آمراً .. كان بعد

كل عمل تطلبه منه، ويؤديه تضمه إلى صدرها مظهرة له رضاها عنه، وكان يجد في ذلك منتهى سعادته .. كانت تعرف تماماً كيف يعمل ما تأمره به، فيبادر مسرعاً إلى تنفيذه حتى ينال المكافأة التي كانت تقدمها له .

ناسب ذلك طبيعتها المتسلطة وجعلها ضعفه أمامها أن تتمادى في فرض سيطرتها عليه وبمرور الأيام استمرأ ذله وضعفه أمامها ولم يشعر أنه أصبح في حياتها لعبة تلهو بها وكرة بين قدميها .

الفصل الرابع

مـرت السـنوات وأنجـب منهـا ولديـن وبنـت واحـدة خـلال عشـرين عامـاً مضـت علـى زواجـه مـن رشـا، ولم يتذكـر خلالهـا ابنتـه رجـاء وكيـف تعيـش، وهـل تزوجـت أمهـا أم لا ... لم يخطـر علـى بالـه شـيء مـن ذلـك .

ذات مـرة أخبرهـا علـى اسـتحياء برغبتـه في رؤيـة ابنتـه رجـاء وكان مـترددا ً...

قالت له :

— هتشـوفها ليـه، هـي عايشـة مـع أمهـا مسـتريحة، ومـش عايـزاك في حاجـة .

— عايز بس أطمن عليها .

— اطمـن يـا خويـا هـم لـو كانـوا عايزينـك كانـوا سـألوا عليـك، وبـلاش تجيـب السـيرة دي تانـي .

إلى هـذه الدرجـة اسـتطاعت أن تقطـع الصلـة بينـه وبـين ابنتـه، كانـت تقـول لـه سـاخرة :

– لو كنت عايز تشوف طليقتك مع السلامة روح لها .

وكان يرد عليها في انكسار :

– وده معقول يا رشا هو أنا لي حد غيرك .

حتى عندما ماتت أمه قالت له :

– رجلي على رجلك .

وذهبـت معـه إلى القاهـرة، حيـث قـام بعـزاء أختـه، ثـم عـاد إلى الأسـكندرية برفقتهـا كمـا ذهـب وكأي غريـب يـؤدي واجـب العـزاء .

عندمـا تزوجـت أخته ذهبـت معه إلى القاهـرة ليقوم بتهنئة أخته والعودة أيضاً كأي شخص يؤدي واجباً مفروضاً عليه .

في عـزاء أمـه كان أخوالـه هـم الذيـن يسـتقبلون المعزيـن، كمـا أنهـم في فـرح أختـه كان أخوالـه هـم الذيـن يسـتقبلون المهنئـين، ولهـذا نظـر إليـه أخوالـه نظـرة احتقـار وعـدم تقديـر، ثـم بعـد ذلـك انقطعـت الصلـة تمامـاً بينـه وبـين كل أقربائـه .

***

يوماً جلس وجدي مع نفسه يفكر فيما وصل إليه . قال لنفسه : إن فكرية كانت تعامله باحترام، ولم تقصر في واجباته كزوجة، ولم تخدش حياءه بكلمة ,لأنها كانت عفيفة اللسان، أما رشا فكيف وصل به الحال معها إلى هذه الهوة من الذل والانكسار .. إنه منذ البداية وقع أسيراً لجمالها، واضطر أن يخضع لها حتى لا يفقد هذا الجمال، وعلى مر الزمن تعود على الذل، وأصبح الذل بالنسبة له شيئاً عادياً، وأصبح أسيراً لها لا يستطيع الفكاك من أسرها .

كان من نتيجة ضعفه أنه لم يتدخل في تربية أولاده، فلم تسمح له رشا بذلك، وطلبت منه أن يترك الأمر لها في كيفية تربية أولادها قائلة :

— دول أولادي وأنا حرة فيهم .

وعندما قال :

— برده هم أولادي .

صرخت فيه قائلة :

— أنا اللي هربيهم بمعرفتي .

هذا ما جعل الأولاد لا ينتمون لأبيهم عشر ما ينتمون لأمهم، فقد وجدوا فيه ضعفاً متناهياً، وأن الأمر كله

لأمهم..كان التدليل الزائد من الأم، وضعف لأب جعلهم لا يخافون من العقاب عندما يخطئون .. وهكذا فسدت أخلاقهم، وضاع مستقبلهم بسبب سوء التربية، وغياب دور الأب ... فشلوا جميعاً وضاع مستقبلهم .

انحرفت الابنة، أحبت شاباً، وهربت معه إلى حيث لا يعلم أحد، أما الولدان فقد أدمنا المخدرات، وضاع مستقبلهما، وأصبحا يبيعان المياه الغازية على شواطئ الإسكندرية بعد أن هجرا منزل أبيهما .

***

عاشت ريري مع زوجها مصطفى تحت ضغط انفعالاته المتقلبة، فتارة يعاملها بالحسنى، وفجأة ينقلب عليها، وهكذا ذاقت معه الذل والهوان، فكما كان أخوها ذليلاً مع زوجته رشا كانت هي ذليلة مع مصطفى، ولكنها كانت مقهورة، مغلوبة على أمرها، ماذا تفعل وقد ماتت أمها، وأخوها تكاد تكون الصلة بينهما مقطوعة، ووالدها يعيش مع زوجته الأخرى، وأولاده منها منذ زمن طويل، فإلى أين تذهب إذا غضبت من مصطفى وتركت له المنزل ؟

لهذا كانت تخضع له في ذله محمية بأولادها الثلاث والتي كانت تتحمل الذل من أجلهم .

غـير أن مـا كان يريـح قلبهـا أن زوجهـا يحـب أولاده جـداً ، ولا يبخـل بشـيء عليهـم، كان في حبـه لأولاده عوضـا ً لهـا عـن سـوء معاملتـه لهـا في بعـض الأحيـان .

***

قامـت فكريـة بالاهتمـام الزائـد بابنتهـا، ورفضـت أن تتـزوج رغـم صغـر سـنها، ورغـم مـن تقدمـوا لهـا مـن الخاطبـين، وإلحـاح أهلهـا عليهـا بالـزواج . قال لهـا أبوها :

— يـا بنـتي حـرام عليكـي ، أنـت لسـه صغـيرة وليـه تدفني نفسـك في الحياة ؟

ردت قائلة :

— لا يمكن أجيب لبنتي أب غير أبوها .

قالت أمها :

— ممكن تتجوزي ورجاء تعيش معانا .

— مـش ممكـن يـا مامـا رجـاء تعيـش مـع حـد غـيري، أنـتي عارفـة إنهـا كل حياتـي ودنيـتي .

— بـس كـده أنـتي بتضيعـي شـبابك وعمـرك، وخايفـة ييجـي يـوم وتندمـي .

— لا يمكن أندم وهي معايا كفاية هي علي .

يئس أبوها وأمها من الحديث في هذا الموضوع، وسلما أمرهما إلى الله في أمر ابنتهما.

خلت فكرية بنفسها وجعلت تفكر .. ما هذا الذي يحدث ؟ أيطلقني وجدي بعد أن تحايلت علي أخته حتى أوافق عليه ؟ لم أكن موافقة، ولكنها استطاعت بإلحاحها وأحاديثها الكاذبة عن أخيها أن تقنعني بالموافقة، وقد صدقتها ووثقت فيها بحكم الزمالة والصداقة، ولأنها لا يمكن أن تغرر بي ولكن حدث ما حدث، وهذه هي النتيجة ...

هجرني، وهجر بيته، وسار وراء نزواته غير مبالي وغير مقدر للمسئولية التي كان يحملها، بل ألقى بها في الضياع غير عابئ بما قد يحدث .

لكن يعز على كبريائي الذي أعطيته جزءاً منه متنازلة عنه لأنه زوجي، ثم هو الذي يطلقني ؟ هو الذي يهجرني ؟ إنه لم يقدر كبريائي الذي منحته له، ولكني سوف أثبت له أنني لم أهتز لما فعله، بل سأظل قوية شامخة رغم أنفه، وليعلم أنه أصبح لا يمثل لي شيئاً أندم عليه .

لست نادمة عليه، ولكني نادمة على ما أعطيته له من وفاء وإخلاص لا يستحقه، ويتركه إلى واحدة غيري .

أية خسة ووضاعة هذا الرجل ؟

ولكن الذي يؤثر في ويؤلمني أنه أخذ جزءاً من جسدي لفترة تجاوز السنتين وهو لا يستحقه أعطيته جسدي ولم يعطني قلبه ... إنه لم يعطني قلبه ... وهذا أكيد لأنه لو أعطاني قلبه لما حدث ما حدث، ولكني للأسف أعطيته جسدي فنال منه ما نال لمدة سنتين . كان قراري دائما هو أن أعطي جسدي لمن يعطيني قلبه، فجسدي هو ذاتي الذي يضم قلبي وعقلي وكلي، فمن يمتلك جسدي فإنه يملكني كلية، والحمد لله أنه لم يأخذ من جسدي إلا قليلاً ولكن أيضاً كل هذا الإحساس بالألم والندم ليس على وجدي لأنه لا يستحق، فمن باع يباع، ولكن على جزء من عمري ضاع مع من لا يستحقه، ولم يقدره حق قدره، ولكني أيضاً كسبت شيئاً غالياً وثميناً وأغلى من الوجود، فقد أعطاني ابنتي (رجاء) .. رغم كل الألم على ضياع سنتين من عمري إلا أن هذا لا يساوي نظرة وابتسامة من ابنتي رجاء التي أصبحت كل أملي في دنياي، أصبحت هي الماضي والحاضر والمستقبل، الماضي الذي فقدته، والحاضر الذي أعيشه، والمستقبل الذي أنتظره، وسوف أكرس عمري كله لها لتعيش هي ما لم أعشه أنا .

زميلهـا في العمـل الأسـتاذ محسـن ينظـر إليهـا بـكل إعجـاب وحـب، وكان في الثلاثـين مـن عمـره أي أنـه كان يقاربهـا سـناً ذات يـوم قـال لهـا :

— مدام فكرية ... عايز أتكلم معاكي ممكن ؟

— اتفضل يا أستاذ محسن .

— ما ينفعش الكلام هنا .

— أمال نتكلم فين ؟

— مطرح ما يعجبك .

— فيه إيه يا أستاذ محسن ؟

— حضرتك عارفاني كويس وعارفة إني راجل جد .

— عارفة يا أستاذ محسن .

— عشان كده بأترجاكي نقعد مع بعض شوية .

— فهمت . تقصد الجواز .؟

— أيوه .

— لا يا أستاذ محسن .

— طيب نقعد ونتكلم ونشوف حنقول إيه .

— مبدا الجواز مرفوض أساساً منك أو من غيرك .

— أنا عارف عشان رجاء .

— أيوه .

— طيب نقعد ونتكلم برده عشان رجاء .

— برده عشان رجاء الجواز مرفوض الكلام فيه .

هكذا كان ردها مع من يطلبها للزواج فقد كانت ترفض حتى الحديث فيه ..

أدخلت ابنتها قلبها، وأغلقت عليها باب قلبها حتى لا يدخل أحد قلبها .

كان محسن شديد الإعجاب بفكرية، ولهذا بعد عدة أيام أعاد الكرة .قال لها:

— أرجوكي يا مدام فكرية خليني أتكلم معاكي .

— تاني يا أستاذ محسن ما قلنا الموضوع ده مرفوض .

— هو أنا إنسان وحش للدرجة دي ؟

— لا والله أنت يا أستاذ محسن إنسان محترم بس أنا خلاص .

— خلاص إزاي وأنت في عز شبابك .

– شباب إيه يا أستاذ محسن ؟ شبابي كله لرجاء ومش لحد تاني .

– حرام عليكي هو أنت عشان وقعتي في واحد وحش يبقى كل الناس وحشين .

– أبداً والله الناس حلوة وكويسة بس أنا خلاص أخدت نصيبي لغاية كده والحمد لله .

– مش معقول يا مدام ارحمي نفسك .

– ارحمني أنت يا أستاذ محسن أرجوك سيبني في حالي

– يعني مفيش فايدة ؟

– فعلاً مفيش فايدة .

– يا خسارة يا مدام .

لم ييأس محسن، فذهب إلى والد فكرية ووالدتها، وطلب منهما التدخل لدى فكرية وإقناعها بالزواج، أما بخصوص رجاء فإنها سوف تعيش معها، وسيعتبرها ابنته .

توجه الوالدان إلى فكرية، وحاولا إقناعها، إلا أنها رفضت وبإصرار رغم إلحاحهما .

***

ترعرعت رجاء في كنف أمها، وأولتها أمها رعاية كاملة، وأصبحت رجاء هي كل أملها في الحياة، ولهذا عاشت من أجلها . قامت فكرية بدور الأب والأم معاً، فأجادت دور الأب في الإنفاق على ابنتها وتلبية رغباتها المعقولة وعدم حرمانها من متع الحياة المشروعة، وأجادت دور الأم في الملاحظة والرعاية والتوجيه .

كانت لابنتها الأب والأم والعم والخال وكل الأهل والأقارب . قامت بتربيتها كما تريد، فقد زرعت فيها الكبرياء والتفوق وعزة النفس والاعتداد بها، وذابت الأم والابنة كل منهما في الأخرى .

انتقت لها صديقاتها بعناية حتى لا تتأثر بخلق أو فعل لا تريده لها، وقد صدعت الابنة تماماً لأنها كانت ترى في أمها كل دنياها، وأنها ليس لديها دنيا سواها .

كان بينهما حب غريب، كل منهما لا تطيق فراق الأخرى، وذابت كل منهما في الأخرى كأنهما شخص واحد، فرح واحد ، ألم واحد، تبغي كل منهما مرضاة الأخرى، وتتفانى في إسعادها ... الأم في الرعاية الكاملة للابنة والابنة في السمع والطاعة .

ولهذا تفوقت رجاء في دراستها، وانتقلت من مرحلة دراسية إلى أخرى وهي متفوقة دراسياً وأخلاقياً،

استطاعت أمها أن تزرع في نفسها العزة والشموخ والأخلاق الفاضلة، التي جنبتها أي زلل في حياتها.

حجبتها أمها عن أهل أبيها وأفهمتها أن أباها غادر الوطن إلى الخارج ولم يعرف أحد إلى أين ذهب وما هو مصيره أما بالنسبة لأهل أبيها فهم لا يستحقون أن تعرفهم أو تمت لهم بصلة لأنهم دون مستواها علماً وخلقاً .

***

كان أخواها عماد ورشاد دائمي الاتصال بها وبزيارتها، كما كانت صلتهما بابنة أختهما رجاء ممتازة، وكانت رجاء تحبهما جداً، وتعتبرهما كل أهلها مع جدها وجدتها، فهما بمثابة الأب الذي فقدته، كما كانت هي بالنسبة لهما ابنة الأخت العزيزة، وفتاة تكاد تكون يتيمة الأب .. كانت الصلة بين رجاء وخاليها هي البسمة والضحكة التي تعم المنزل حين يحضران للزيارة، أو تذهب هي لزيارتهما، وكانت فكرية في غاية السعادة بأخويها وعلاقتهما بابنتها، لأنهما عوضاها عن فقدها لأبيها، كما كانت تريد أن تشعر ابنتها أن لها أهل وأقارب تنتمي إليهم ... الجد والجدة والخالين .

***

شعرت ريري أن فكرية تكرهها، لأنها كانت السبب في زواجها من وجدي، ولهذا قطعت الصلة بها، حتى عن رجاء ابنة أخيها ... لم تحاول أن تراها أو تعرف شيئاً من أخبارها .

وهكذا انقطعت الصلة بين المرأتين، ولم تعد إحداهما ترى الأخرى، بعد أن كانتا تلتقيان يومياً في مقر العمل .

تعمدت فكرية أن تبتعد بنفسها وبابنتها عن أهل زوجها لاعتقادها أن ريري هي السبب في زواجها من أخيها، وأنها لم تكن مستريحة له لولا إلحاحها عليها، وأنها قدمت لها صورة زائفة غير حقيقية عن أخيها وقدمت لها صفات لم تجدها فيه بعد الزواج مع أنها وثقت في كلامها باعتبارها صديقة وزميلة ترجو لها الخير، ولا يمكن أن تخدعها .

ولما كان تأثير الأم على ابنتها قوياً وساحراً، فقد استجابت رجاء لكل أفكار أمها، معتقدة أن أمها لا تقول ولا تفعل إلا الصواب .

وهكذا فقدت رجاء صلتها تماماً بأهل أبيها، كما فقدت سابقاً صلتها بأبيها، وعاشت وكأنها يتيمة الأب، ولكنها وجدت في جدها وجدتها وخاليها ما جعلها تشعر بدفء الأقارب .

كانت رجاء تنتقل من مرحلة دراسية إلى أخرى بنجاح وتفوق، وبفضل رعاية أمها الكاملة لها كما كانت أمها تنظر إليها وهي تتقدم في الدراسة وفي العمر أيضاً، إلى أن أصبحت شابة جميلة، على أنها امتداد لعمرها الذي سلبه منها وجدي .

كانت تجلس بجوارها، وهي تذاكر دروسها، ترفض أن تنام طوال سهرها للمذاكرة، وكانت رجاء ترجوها أن تنصرف للنوم فترفض لأنها لن يأتيها النوم بدونها فقد كانت حجرتهما واحدة بها سريران لنوم كل منهما .

وصلت رجاء في مرحلتها الدراسية إلى كلية الطب وكم كانت سعادة أمها بتفوقها وأحست أنها شكلت ابنتها كما أرادت وبالصورة التي رسمتها لها .

تقاطر العرسان في طلب رجاء للزواج، إلا أن أمها رفضت تماماً فكرة زواجها قبل أن تنتهي من دراستها، وعندما قالوا لها إنها من الممكن أن تكمل تعليمها وهي متزوجة رفضت قائلة :

— إزاي تبقى متجوزة وتكمل في كلية الطب ؟ ما ينفعش .

وعندما قالوا لها إنها من الممكن أن تتم خطبتها، ثم الانتظار حتى تنتهي من دراستها .

قالت :

— وليه ترتبط من الآن ؟ بعد ما تخلص يحلها ربنا .

كانت فكرية في غاية السعادة وهي ترى ابنتها متفوقة في دراستها، وأنها أصبحت شابة جميلة، يتهافت الشباب على طلبها للزواج، ولكنها حرصاً على مستقبلها فضلت أن تنهي دراستها أولاً .

***

تخرجت رجاء في كلية الطب، والتحقت بالعمل في إحدى المستشفيات، وعندما تسلمت العمل ظلت أمها تبكي دهشت رجاء وقالت لها :

— ليه كده يا ماما ؟

— من فرحتي، حاسة إن الدنيا مش سايعاني من الفرحة، وإن ربنا عوضني بيكي خير وإن عمري ما راحش هدر .

أمسكت رجاء بيد أمها وجعلت تقبلها وهي تقول :

— ربنا يخليكي ليا يا ماما وأفضل طول عمري في حضنك .

***

انفردت رجاء بنفسها، وفكرت في أمها .. هذه الأم العظيمة التي حرمت نفسها من متع الحياة ولذتها من أجلها، وهي في عنفوان شبابها، ولم تنل حظها من الدنيا من أجل

طفلة صغيرة ترعاها ، وتتعهدها بكل الرعاية، وتحوطها بكل الحب وكأنها لم تخلق إلا لها، بينما أبوها لاه عنها ولا يعرف عنها شيئاً .. هذه الأم لو ظلت تقبل قدميها قبل يديها لا توفيها حقها ... إنها ليست بشراً ، بل هي أم في مصاف الملائكة وتعيش بين البشر .

***

أحست فكرية أنها تكاد تصل بابنتها إلى كل ما تصبو إليه، فها هي قد تخرجت في كلية الطب، وأصبحت طبيبة، ولم يتبق لها من أمنيات إلا أن تراها عروساً ثم زوجة سعيدة في بيت زوجها ثم تسعد بعد ذلك بأولادها .

كان الدكتور أمجد زميلاً لرجاء، وكان ينظر إليها بعين التقدير والإجلال نظراً لصفاتها الأخلاقية التي ورثتها عن أمها منذ الصغر، وشعرت هي بنظراته لها، ولم تنفر منه، لأنه كان جاداً في عمله، حسناً في سلوكه ..

كانت مثل أمها قوية وصريحة، قال لها يوما :

— تسمحي يا دكتورة رجاء أتكلم معاكي كلمتين ؟

— اتفضل يا دكتور أمجد .

— عندك مانع أزوركم في البيت .

— خير يا دكتور .

— لما واحد يطلب من واحدة إنه يزورهم في البيت تفتكري يبقى عشان إيه ؟

— طيب وهو أنت أخدت رأيي الأول ؟

— ما هو أنا بقول لك لو تسمحي ، ولو ما سمحتيش خلاص مش هزوركم .

— يعني إيه ؟

ثم قالت ضاحكة :

— أنت بتتلكك .

— أبداً والله ، أنا عارف إنك حاسة بشعوري ناحيتك من غير ما أتكلم، لأنك ذكية ولماحة، ويا ستي دوغري كده من غير لف ولا دوران أنا بحبك وعايز أخطبك بصراحة كده .

ابتسمت وقالت :

— أنا بحب الصراحة ، وبصراحة موافقة .

كانت رجاء تميل لزميلها أمجد، فقد كانت ترى فيه شاباً جاداً، يعتز بنفسه وكرامته، ويتعامل مع الجميع برقة وأدب، وهو النموذج الذي تعجب به، وترغبه، كما زرعت أمها فيها هذه الصفات التي تعجب بها، ولهذا أحست قبله بعاطفة حب، لم تنكرها، وأخبرت أمها أن زميلها الدكتور أمجد يصوب إليها نظرات الحب، وأنها تشعر من حديثه مدى الحب الذي يقطر من كلماته، وأنها استجابت له عندما طلب منها أن يزورها في البيت ..

سألتها أمها :

— وأنت شعورك إيه من ناحيته ؟

أجابت رجاء :

— بصراحة يا ماما إنسان محترم .

— يعني أنتي مستريحة له ؟

— أيوه يا ماما .

— خلاص على خيرة الله .

***

توجا قصة حبهما بالخطوبة، وظهرت مشكلة كبرى ألا وهي كيف تستطيع الأم والابنة الانفصال كل منهما عن الأخرى ؟

ولما ناقشت رجاء خطيبها الدكتور أمجد في هذا الأمر قال لها :

— أنا لا يمكن أكون السبب في ابتعادك عن ماما وأنا من ناحيتي أتمنى نعيش مع بعض

ثم ضحك وقال :

— على الأقل نوفر تمن الشقة .

قالت رجاء :

— حبيبي يا أمجد .

قال أمجد :

— مامتك ست عظيمة، ومين الإنسان الغبي اللي مش عايز يفضل معاها على طول ؟

اتفق الجميع على أن يعيشوا في شقة الأم بعد أن يقضيا شهر العسل في أحد الفنادق، تم هذا الاتفاق بعد أن تناقشت فيه الابنة مع أمها، فقد اعتادت رجاء ألا تخفي شيئاً عن أمها، وقبل أن تكون رغبة الأم في عدم الانفصال كانت رغبة الابنة، وقد توجت الرغبتان بموافقة أمجد على ذلك . .اشترطت عليهما أن يزوراها كل فترة قصيرة أثناء شهر العسل وألا ينقطعا عنها .

الفصل الخامس

سارت الحياة برشا ووجدي على هذا المنوال، سيطرة تامة من رشا، وخضوع واستسلام تام من وجدي لرغباتها، ولم يعد يستطيع أن يتخذ قراراً في أمر من الأمور، وإنما القرار قرارها والأمر أمرها، والخضوع التام منه لها أنجب منها ابنه الأول، وعندما أراد أن يسميه رفضت، وقامت هي بتسميته (صلاح)

.. ولم يدر هو لماذا اختارت هي هذا الاسم، وعندما أنجب للمرة الثانية كانت طفلة، قامت هي بتسميتها (حنين)، ولم يدر أيضاً لم اختارت هذا الاسم، ثم أنجب ولده الثالث وأسمته (رمزي)، وكما سبق لم يعرف لماذا اختارت هذا الاسم.

كان كمن كان في سجن ومقيداً في قيد لا يستطيع الفكاك منه أو فك أغلاله، وذات مرة فكر أن يتمرد ويفك قيده، ولكن إلى أين يذهب؟ أمه ماتت وأخته في بيت زوجها، ولا يعرف شيئاً عن أبيه، وأخوته من

أبيه .. هل يذهب إليهم الآن ؟ وماذا يقول لهم ؟

ليس أمامه سوى أخته ريري، وهي تعيش مع زوجها، ولا يعرف إن كانت سعيدة أم تعيسة، كان كل ما يربطه بها هو الخطابات التي كان يرسلها إليها خلسة من وراء رشا، وعلى فترات متباعدة,وكان يتلقى خطاباتها على عنوان مقر عمله وليس على بيته خوفاً من رشا، فكان يقرأ الخطابات ثم يمزقها قبل العودة إلى المنزل .

وهكذا وجد أنه لا خلاص له من قيد رشا، فاستسلم لذلك، وخضع تماماً لما هو فيه من ذل وهوان .

أدركت رشا كل ذلك عنه، واطمأنت إلى سيطرتها التامة عليه، وأنه لا خلاص له منها.

تأثرت حياة وجدي الوظيفية بحياته العائلية، فقد وصل إلى درجة كبيرة بحكم أقدميته في العمل لا بحكم كفاءته، ولكنه لم يتبوأ مركزاً قيادياً، بل ظل مرءوساً

***

ذات مرة عاوده التفكير في أخته ريري ، إنه لم يرها إلا يوم زواجها ويوم أن ماتت أمه، ولم يربطه بها سوى خطاباتهما القليلة التي كانا يتبادلاهما، ولم يحاول زيارتها، فقد قطعت رشا الصلة بينه وبين أي شخص

يمت له بصلة، حتى تضمن خضوعه التام لها، وعلى هذا لو جازف وذهب إلى أخته فسوف يخرج من فلك رشا، ولا يدري إلى أين يذهب، فمن غير المعقول أن يقيم مع أخته المتزوجة، وهي أيضاً في القاهرة، وهو في الإسكندرية حتى لو اتخذ سكناً خاصاً به وحده لن تتركه رشا في حاله، وتنقلب عليه في شراسة هو يعلم كم هي شرسة عندما تغضب كما أنه كان لا يريد فراقها .

كان القيد مطبقاً حول عنقه في إحكام، بحيث لا يستطيع حله مهما حاول، المهم أن يكون معها دون أي اعتبار آخر .

***

بدأ يرى فشل أولاده في الدراسة، ولا يستطيع أن يتكلم، وعندما أبدى لرشا هذه الملاحظة قالت له :

— هيعملوا إيه أكتر من اللي بيعملوه ؟ دي قدرتهم وهم ونصيبهم .

لم يتكلم ولم يعلق، بل وضع همه في قلبه، والتزم الصمت منعاً من الدخول معها في أي نقاش يعلم هو أن الغلبة ستكون لها .

كان يعرف أنها لا ترعاهم تعليمياً، ولا تهتم بدراستهم أو بمذاكرتهم، وهو ليس في مقدوره أن يساعدهم في حياتهم التعليمية فإن الأمر أمرها .

أما بالنسبة لابنته حنين فقد شبت عن الطوق، وبدا أنها تتخذ طريق أمها في ملبسها وإبداء زينتها والمبالغة فيها مقتدية بأمها في هذا المسلك .

والغريب أن أمها كانت سعيدة لمسلك ابنتها، فقد كان يسعدها أن ترى ابنتها، وقد بلغت طور الشباب، وتبالغ في زينتها وميوعتها .. كانت أمها تنظر إليها على أنها امتداد لجمالها، وترى فيها أنوثتها التي بدأت تذبل فلم تحاول عنفها عن أي خطأ ترتكبه، ولم تحاول أن تجعلها تخفف من غلوائها في تبرجها .

***

مما زاد في مأساة وجدي أن أبناءه لم يكونوا يخشونه، محتمين في أمهم عند أي خطأ يرتكبونه، فكانت تدافع عنهم في الخطأ والصواب، مما جعله لا يتدخل في شئونهم .

***

فشل الولدان في دراستهما، وكان ذلك طبيعياً لغياب دور الأب ودور الأم، واتجها إلىتناول المخدرات، وكان لزاماً عليهما أن يدبرا ثمن ما يتعاطيانه، فلجآ إلى العمل في بيع المياه الغازية على شواطئ الأسكندرية، وتأجير الكراسي والشماسي للمصطافين، هذا في فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فقد كانا يلجآن إلى أي عمل يجدانه أو يتيسر لهما، ثم جاء دور حنين في الانحراف، فقد تعرفت على شاب منحرف أيضاً بادلته الحب، وتمادت فيه، ولما خافت من أخويها هربت معه إلى حيث لا يعلم أحد .

***

انفرد وجدي بنفسه، وجعل يفكر .. ابناه ضاع مستقبلهما، وابنته هربت مع من أحبته ولا يعرف عنها شيئاً .. إلى هذا الحد سقطت في هذه الهاوية ؟

وتساءل لماذا حدث ذلك ؟ لابد أنه جزاء ما اقترفته في حق فكرية، تلك الإنسانة التي كانت على خلق، وفي حق ابنته رجاء التي لم يرها منذ فارقهما ولا يعرف شيئاً عنها .

وماذا في وسعه أن يفعله الآن ؟ لا شيء إنه يشعر أنه سجين حكم عليه بالسجن مدى الحياة .

***

أخـيراً اعترفـت الأم بخطئهـا، فقـد ضـاع مسـتقبل ولديهـا، وهمـا الآن مشـردان علـى شـواطىء الأسـكندرية، أما مصيبـة البنـت فهـي الطامـة الكـبرى وخنجـر دق في قلبهـا .

نظـرت إلى زوجهـا نظـرة عتـاب، ونظـر هـو إليهـا نظـرة لـوم، نظرتهـا هـي عتـاب علـى ضعفـه وتخاذلـه، ولكنهـا أيقنـت أنهـا السـبب، فقـد حـاول إرضاءهـا بأية وسـيلة، ولم تحـاول هـي أن تغـير مـن طباعـه، بـل أجبرته علـى الخضوع لهـا، ولم تعـد لـه شـخصية مسـتقلة بـل كان ظـلاً لهـا .

أمـا هـو فقـد نظـر إليهـا لائمـاً علـى مـا فعلتـه بـه وبـأولاده، وكأنـه يقـول لهـا هـذا مـا جنتـه يـداك ... لقـد حطمتـني، وحطمـت أولادك، ولـو كان الأمـر يقتصـر علـي فقـط لوجـدت شـيئاً مـن الراحـة، أمـا أن أضيـع أنـا والأولاد فهـذه هـي الطامـة الكـبرى .

***

أصيبـت رشـا بكآبـة، وانقطعـت عـن العمـل، فتـم فصلهـا مـن وظيفتهـا، وأصبحـت لا تبـارح المنـزل، وأصبـح وجـدي يعيـش في مأسـاة، أبنـاؤه هجـروه، وزوجتـه أصبحـت علـى هـذه الحالـة مـن الخبـل .. ظلـت رشـا مثبتـة نظرهـا علـى وجـدي، وعيناهـا لا تتحـركان، وقـد اتسـعت حدقتـا عينيهـا بشـكل غريـب، ممـا أرعـب وجـدي، وجعلـه يخفـض بصـره

عنهـا، وكلمـا نظـر إليهـا وجدهـا هكـذا مثبتـة عينيهـا عليـه، ثـم فجـأة صرخـت :

— إيه يا وجدي ؟ بتبص لي كده ليه ؟

— أبداً يا رشا .

— أنا عايزة حنين .

— بكرة تييجي .

— أنت اللي خطفتها .

— حاخطف بنتي يا رشا ؟

— أيوه دي مش بنتك دي بنتي أنا .

— عارف بس هدي نفسك .

زاد صراخها وولولتها .

— فين صلاح ورمزي ؟

— مش عارف

— هاتهم مش أنت اللي خطفتهم ؟

— حاخطف رجالة ؟

— ماليش دعوة هاتهم كلهم .

— حاضر .

— أنت مخبيهم فين ؟

— يا رشا إيه الكلام ده ؟ مالك فيه إيه ؟

— ماليش دعوة حاعمل لك محضر .

— اهدي بالله وإن شاء الله حييجوا .

— تجيبهم بكره .

— حاضر .

في اليوم التالي زاد هياجها وأمسكت بخناقه وصاحت فيه :

— فين ولادي ؟ وديتهم فين ؟ مش حسيبك إلا لما تجيبهم .

اضطر أن يجاريها فقال :

— حاضر اهدي بالله وأنا قلت لهم أمكم عايزاكم قالوا حنيجي لها بكره نشوفها .

— إن ما جوش حبلغ البوليس ..

— إن شاء الله حييجوا .

ثم سكتت فجأة وقالت :

— هي حنين مع جوزها ؟ راحوا فين ؟ انا كنت عايزة

احضـر فرحها .

ثم جلست تبكي وبعد فترة قصيرة صاحت :

— أنت يا صلاح هات رمزي وتعال.

وهكـذا ظلـت تهـذي منادية علـى أولادهـا وأحيانـاً تخاطبهـم كأنهـم أمامهـا .

ظـل وجـدي يبحـث عـن ولديـه على شـواطئ الإسـكندرية حتـى عثـر عليهمـا، وأخبرهمـا أن أمهمـا مريضـة وتريـد أن تراهمـا . سـأل صـلاح :

— هي عندها إيه ؟

— عندها حالة هيجان .

— يعني إيه ؟

— عمالة تخرف بكلام مش معقول .

قال رمزي :

— أمي مخها يوزن بلد .

قال صلاح :

— حنخلص شغلنا ونيجي لها .

عندمـا عـاد وجـدي إلى المنـزل وجدهـا هائجـة، وازداد

صراخها وعويلها، أيقن أنها أصيبت بلوثة في عقلها، واضطر أمام هياجها أن يدخلها في مستشفى للأمراض العقلية نظراً لخطورة حالتها .

في المساء حضر صلاح ورمزي فلم يجداها، وأخبرهما أبوهما أنه أدخلها المستشفى للأمراض العقلية نظراً لخطورة حالتها .

لم تمكث بالمستشفى أكثر من شهرين ثم ... ماتت .

***

أصبح وجدي وحيداً لا يعرف له مصيراً بعد أن فقد كل شيء، تذكر زوجته السابقة فكرية .. ما أخبارها ؟ إنه يعلم أنها لم تتزوج بعده حتى الآن علم هذا من أخته في أحد خطاباتها مكتفية بتربية ابنتها، ترى ما شكل ابنته الآن؟

المؤكد أنها أصبحت عروساً، وقد تكون تزوجت، وهل تعلمت؟ أم فشلت في الدراسة ؟

وساءل نفسه لماذا لم تتزوج فكرية حتى الآن ؟ هل تعيش على ذكراه ؟ معقول أنها تحبه إلى هذه الدرجة ؟

صور له تفكيره الساذج أن فكرية مازالت باقية على حبه رغم كل هذه السنوات وأنها ما زالت تعيش على ذكراه بدليل عدم زواجها حتى الآن .

وساءل نفسه .. لماذا لا يذهب إليها ليعرف أخبارها وأخبار ابنته، ويطلب منها أن يعيدا حياتهما معا هي وابنتها .

الفصل السادس

ذات يـوم رن بـاب جـرس شـقة فكريـة، ولم تكـن رجـاء موجــودة، وفتحــت البــاب فــإذا بهــا تفاجــأ بوجــدي . ألجمتهـا المفاجـأة .. وكان وجـدي قـد بـدا عليـه كـبر السـن، وبـؤس الأيـام، كمـا بـدا عليـه الـذل والانكسـار، وظـل كل منهمـا ينظـر إلى الآخـر فـترة قصـيرة، وأخـيراً قالـت:

— وجدي ؟ اتفضل يا وجدي .

سمحـت لـه بالدخـول ,فقـد كانـت تريـد أن تعـرف سـب مجيئـه إليهـا بعـد هـذه المـدة الطويلـة

..دخـل وجـدي، وجلـس أمامهـا صامتـاً ، منكـس الـرأس ..أحســت ســاعتها أنهــا في القمــة، وهــو في الحضيــض، وأخـيراً قـال:

— ازيك يا فكرية .

— الحمد لله أنا بخير .

— لسه حلوة زي ما أنت .

— الحمد لله احفظ الله يحفظك .

— أمال فين بنتنا رجاء .

— ما تقولش بنتنا ، قول بنتك رجاء .

— هي فين ؟

— في المستشفى .

ذعر وجدي وقال :

— هي بعد الشر عيانة .

— هي مش عيانة هي دكتورة .

— ياه على الزمن .

— الوقت افتكرت إن لك بنت .

— عمري ما نسيت .

— كداب .

— صدقيني يا فكرية .

— مش بقول لك كداب وبجح كمان، من إمتى افتكرتها؟ دا انت ما افتكرتش مرة تشوفها، أكتر

مـن عشـرين سـنة وأنـت بعيـد عنهـا جـاي النهـارده تسـأل عليهـا يـا خويـا إيـه اللـي فكـرك بيهـا ؟

— صدقيني عمري ما نسيتها .

— مـش بقـول لـك كـداب وسـتين كـداب ؟ بدليـل مـا فكرتـش فيهـا تشـوفها أو توحشـك.

— كنت عايز آجي أشوفها بس كنت خايف منك.

— ليه هو أنا بعبع ؟

— صحيح كنت حاتخليني أشوفها ؟

— مش معقول كنت حا منعها عنك وإنك تشوفها .

— ده اللي أنا فكرت فيه .

— أنـت مـا فكرتـش تبعـت لهـا جنيـه واحـد أنـا كنـت حارفـض أقبـل منـك أى حاجـة لـو كنـت حولت...يـا أخـي كنـت جـرب وشـوف رد فعلـي .

— أنا كنت مطمئن عليها معاكي .

— كنـت فكـر أنا مـا رفعتش عليك قضية نفقـة لي ولها ليه ؟

— ليه ؟

— عشـان مـش عايـزة حاجـة منـك والحمـد لله ربيتهـا

أحسـن تربيـة .

— أنا مطمن عليها معاكي .

— لا يا شيخ هي مش لها حقوق عليك .

— طبعاً .

— أمال ما سألتش عليها ليه ؟

— أنا عارف إنها معاكي في الأمان .

— وهل ده كفاية ؟

— أنت قدها وقدود .

— مـا فكرتـش مـرة واحـدة فيهـا لـولا قـدر الله عيانـة أو جعانـة أو عريانـة أد إيـه قلبـك حجـر ؟ للدرجـة دي ؟

— والله كان غصب عني .

— ليه ؟ كنت مسجون ؟

— خلاص ننسى اللي فات .

— اللي فات عمره ما يتنسي .

— معلش أنت قلبك كبير وعارف إن عندك عزة نفس .

— الوقت أنت جاي ليه ؟

— مراتي ماتت .

— اللّه يرحمها وبعدين فين أولادك ؟

— ولدين وبنت .

— وبيشتغلوا إيه ؟

— كلهم ما كملوش تعليمهم، واتفرقوا، وكل واحد منهم شق طريقه لوحده وسابوني .

— والبنت ؟

قال بذل :

— مش عارف .

قالت بدهشة :

— يعني إيه مش عارف ؟

— حبت شاب وهربت معاه ومن ساعتها مش عارف هي فين .

— يا ساتر يا رب اللهم لا شماتة .

— دا ذنبك يا فكرية .

— وكانت فين أمهم ؟

— دلعتهم أكتر من اللازم لغاية ما وصلوا للدرجة دي .

— وأنت كنت فين ؟

— معاهم .

— معاهم إزاي وضاعوا بالشكل ده ؟

— أمهم كانت السبب .

— أنت عايش في مأساة .

— ده حقيقي

— أنت اللي جبته لنفسك .

— معاكي حق وعشان كده جيت لك .

— يا سلام ليه إن شاء الله ؟

— عرفت إنك ما تجوزتيش لحد دلوقتي، فقلت آجي نتلم مرة تانية، وننسى اللي فات .

— تعرف إن جالي ميت واحد أقل واحد فيهم ضفره برقبتك ورفضت عشان خاطر رجاء اوعى تكون فاكر إني ما اتجوزتش عشان خاطرك، وأنا قاعدة مستنياك ؟

لا يا حبيبي دا عشان خاطر رجاء بنتي .

— إحنا ممكن نتلم على بعض عشان خاطر رجاء .

— كده بمنتهى البساطة .

— عشان خاطر رجاء تعيش وسطنا .

— رجاء بقت دكتورة يعني مش محتاجة لك .

— برده نعيش مع بعض .

— مش ممكن .

— ليه يا فكرية .

— عشان مش عايزاها تعرف إن لها أب زيك .

قال باستجداء:

— أي شروط تطلبيها أنا موافق عليها .

— أنت متأكد إنك في وعيك ومش شارب حاجة .

— أنا عارف إنك ست عظيمة .

— وعشان كده سبتني وجريت ورا واحدة من إياهم علمتك الأدب .

— ده صحيح وأنا باعترف بكده .

— يعني حضرتك جاي ومتأكد وواثق من نفسك إنك بمنتهى البساطة حتلاقيني مستنياك ومتلهفة عليك .

— على الاقل بينا بنت عروسة .

— شوف يا وجدي بنتي مخطوبة لواحد دكتور زميلها والدخلة بعد أسبوع .. ما تجيش النهاردة بعد السنين دي كلها وتهد اللي أنا عملته وضحيت بشبابي وعمري كله عشان خاطرها ومش حاسمح لك تهد اللي أنا بنيته ... خليك مرة واحدة في حياتك تبقى إنسان ومفيش داعي تظهر لها بشكلك المقرف ده لأنك ما تستحقش تكون أبوها ولا هي تكون بنتك، ولو واحدة غيري كانت تفت في وشك وقفلت الباب .

فجأة فتح باب الشقة، ودخلت رجاء بصحبة خاطبها الدكتور أمجد، ألقيا عليهما السلام .

قام وجدي واقفاً، ومد يده إلى الدكتور أمجد، وإلى رجاء وسلم عليهما .

قالت فكرية :

— بنتي الدكتورة رجاء وخاطبها الدكتور أمجد .

نظر إليها وجدي، واغرورقت عيناه بالدموع، وكان بوده أن يأخذ ابنته في حضنه، وجعل يقارن بينها وبين أولاده الفاشلين .. كيف نجحت فكرية فيما فشل هو فيه وفكر بسرعة أنه يجب ألا يحطم ابنته .. سألت رجاء :

— مين حضرته يا ماما ؟

— ده واحد قريبنا من بعيد وجت له أزمة مالية واديته اللي فيه النصيب .

ثم نظرت إلى وجدي قائلة :

— يلا بقى اخرج وروح لحالك ما تجيش هنا تاني .

فقالت رجاء :

— ليه العنف ده يا ماما ؟

— هو يستحق اكتر من كده وهو اللي جابه لنفسه انصرف وجدي، مطأطى الرأس، ذليلاً ومنكساراً، وقد أحس بالذل والمهانة التي لم يتوقعها. حقاً إنه كان ذليلاً مع رشا، ولكنه أحس بذل أكبر مع فكرية وهي التي احترمته في السابق أيام أن كان زوجها، أما الآن فإنها تحتقره وتضن عليه بأبوة رجاء التي أصبحت عروساً، وستصبح زوجة بعد أسبوع، ولكنه يريد أن يرى حفل زفاف ابنته...أصبح في شوق لأن يرى ابنته في الكوشة مع عريسها، ولهذا تردد في السفرإلى الأسكندرية إلا بعد أن يرى زفاف ابنته .

وجد وجدي وضعاً مغايراً تماماً لما كان يتوقعه، كان يتوقع أن يسترد بعضاً من كرامته المفقودة مع رشا، ولكنه

وجـد احتقـارا ومهانـة زادت فكريـة شموخـاً وازداد هو ذلاً .

***

في اليـوم التالـي رن جـرس بـاب شـقة فكريـة، ولمـا فتحـت البـاب فوجئـت بوجـدي نظـرت إليـه شـذراً، ووقفـت تسـد بـاب الشـقة وصاحـت فيـه :

— انـت جيـت تانـي ليـه ؟ مـش قلـت لـك مـا تجيـش هنـا تانـي ومـش عايـزة أشـوف وشـك .

قال وجدي بذل :

— أبوس إيدك وأبوس رجلك لي عنك طلب .

— عايز إيه قول وخلصني .

— اسمحـي لـي أشـوف بنـتي رجـاء في الكوشـة مـع عريسـها، وأوعـدك مـش حتشـوفيني بعـد كـده

— وحتشوفها إزاي ؟ مش عايزاها تعرفك .

— هـي مـش عارفانـي، ومفيـش حـد عارفـني، أنـا حاقعـد بعيـد عنهـا عشـان متشـوفنيش .

— وإذا حاولت تقرب منها ؟

— ابقي اعملي اللي يعجبك .

– عشان أنا بنت أصول حااسمح لك بس اوعى هي تشوفك أو تقرب منها وإلا أخلي أخواتي يقطعوك .

– من غير أي شوشرة كفاية علي أشوفها وبعدين امشي وأروح لحالي .

– هل ده وعد منك ولو إني ما أضمنكش ؟

– صدقيني يا فكرية ... أرجوكي .. اديني عنوان الصالة اللي حيتعمل فيها الفرح .

– صالة الزهور اللي جنبنا .

– متشكر قوي يا فكرية .

وانصرف وجدي وأغلقت هي الباب وراءه وافقت فكرية على أن يرى وجدي ابنته بحيث لا يستطيع الاقتراب منها .. يراها في ليلة عرسها وهو محروم منها ... تعمدت أن تجعله يشعر بالذل وألم الحرمان .

مر الأسبوع، وجاءت ليلة عرس رجاء، كان الحفل في قاعة الزهور للأفراح كما قالت فكرية لوجدي .. دخل وجدي القاعة حيث لا يعرفه أحد، وجلس في ركن بعيد بحيث لا تراه فكرية وابنتها .

كانت عيناه لا تكفان عن الدموع، وفي قلبه لوعة

ولهفة أن يحتضن ابنته ويقبلها مهنئاً بالزواج ولم يشعر في حياته بمثل هذا الألم .. يرى ابنته في ليلة عرسها في قمة سعادتها، ولا يستطيع أن يقترب منها .

بعد أن قام العروسان ليستقلا السيارة متوجهة بهما إلى الفندق .. سار وسط دموعه وهو لا يدري إلى أين يسير .. قادته قدماه إلى كورنيش النيل، ووقف على السور متاملاً أمواجه المتلاطمة، ودموعه تنسال من عينيه وجعل يفكر ... زوجته ماتت مجنونة، وولداه ضاعا على شواطئ الأسكندرية، وابنته انحرفت وضاعت في بحر الخطيئة .. أما فكرية فهي التي ظلت طاهرة وشامخة وأبية، وابنته منها أصبحت طبيبة ملء السمع والبصر، وها هي عروس وزفت إلى زوجها، ولم يبق من كل هذا سواه .. في الضياع ... من بقى له حتى يعيش من أجله، وجعل يردد: جئت ذليلاً وانصرفت أذل .

بعد أن ذهبت رجاء مع عريسها ذهبت فكرية إلى منزلها، وصلت ركعتين لله، ورفعت يديها إلى السماء تشكر ربها، وتبكي فرحاً بزواج ابنتها .

في اللحظة التي كانت فكرية على سجادة الصلاة ترفع يديها شاكرة ربها كانت رجاء وأمجد يتعانقان في نشوة .. أما وجدي فكان في قاع النيل .

صدر للمؤلف

١. رمانة ..... رواية

٢. سيدتى المجنونة...رواية

٣. الأختان ..... رواية

٤. حُب فوق مستوى الحب..... رواية

٥. أعطني قلبك... أعطيك جسدي..... رواية

للتواصل مع المؤلف :

٠١١٥٥٣٦٣١٦١

٠١٢٨٢٢٥٤٩٣٨

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع